﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسٗا ٨٣﴾ [الإسراء: 83]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الحالُ مع الله مَقيسَةٌ بالحالِ مع كتابِه

بعد أن ذكر في الآية السّابقةِ انقسامَ النّاس في حالهم مع القرآن إلى مؤمنين وظالمين؛ أشار في هذه الآية إلى انقسام النّاس في حالهم مع الله سبحانه عند الإنعام بما يحبّون، وعند البلاء بما يكرهون، فأخبرَ عن حالة الأكثرِ فيهم، وهي الإعراضُ بعد العطاء، واليأسُ بعد المنع، فربَطَ الحالَ معه سبحانه بالحال مع القرآن، فالحالُ معه مُتَوجِّهةٌ بالحال مع كتابِه، قال ابنُ عاشور: "لمّا كان القرآنُ نعمةً عظيمةً للنّاس، وكان إعراضُ المشركين عنه حرمانًا عظيمًا لهم من خيراتٍ كثيرةٍ، ولم يكن من شأن أهلِ العقول السَّليمةِ أن يرضوا بالحرمان منَ الخير؛ كان الإخبارُ عن زيادتِه الظّالمين خسارًا مستغربًا، من شأنه أن يثيرَ في نفوس السّامعين التَّساؤلَ عن سبب ذلك؛ أعقبَ ذلك ببيان السَّببِ النِّفسانيِّ الذي يوقعُ العقلاءَ في مَهواةِ هذا الحرمانِ، وذلك بعد الاشتغالِ بما هو فيه من نعمةٍ هَويَها، وأولعَ بها"[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَعۡرَضَ﴾: أَصْلُ كَلِمَةِ الإعْراضِ مِنَ العَرْضِ، وهو الظُّهورُ والبُروزُ، يُقالُ: عَرَضَ الشَّيْءُ، وعَرِضَ يَعْرِضُ ويَعْرَضُ عَرْضًا، أي: ظَهَرَ وبَرَزَ[2]، وقيلَ: أَصْلُها مِنَ العَرْضِ، وهو خِلافُ الطّولِ، يُقالُ: اعْتَرَضَ الطَّريقَ؛ إذا سارَ عَرْضًا، وسُمّيَ الرَّفْضُ إعْراضًا؛ لِأَنَّ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 191.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (عرض).

الرّافِضَ أَظْهَرَ خِلافَ الشَّيْءِ، أَوْ لِأَنَّهُ كالواقِفِ عَرْضًا في وجْهِ الشَّيْءِ[1]، والإعراض أيضًا: الصَّدُّ والتَّولّي والرَّفْضُ، تَقولُ: أَعْرَضَ عَنْهُ، أَي: صَدَّ وتَولَّى عنهُ، والمُعْرِضُ: المُتَولّي، ويُطْلَقُ الإعْراضُ بِمَعْنَى الانْصِرافِ عَنِ الشَّيْءِ بالقَلْبِ، وضِدُّ الإعْراضِ: الإقْبالُ والانْقيادُ والطّاعَةُ[2]، والمقصودُ بالإعراضِ في الآية: الصَّدُّ والتَّولّي والرَّفْضُ، وضِدُّ الإقْبالِ.

2) ﴿وَنَـَٔا﴾: أصلُ النَّأْي البُعدُ، نَأَى يَنْأَى: بَعُدَ، بِوزْنِ نَعى يَنْعَى، ونَأَوْتُ: بَعُدْتُ، لُغَةٌ في نأَيْتُ، وتَناءَوا: تباعَدوا، والمُنْتَأَى: المَوْضِعُ البَعيدُ، والنَّأْي: المُفارقة، ويُقالُ للرَّجُلِ؛ إذا تَكَبَّرَ وأعرَضَ بِوجْهِهِ: نَأَى بِجانِبِهِ، ومَعْناهُ أَنَّه نأَى جانِبَه مِنْ وراء، أَي: نَحّاه، وقيلَ: نأَى بِجانِبِهِ، أَي: تباعَدَ عَنِ القَبولِ[3]، والمرادُ في الآية: البُعْدُ[4].

3) ﴿بِجَانِبِهِۦٓ﴾: أصلُ الجَنْبِ الجارِحَةُ، ثمَّ استُعيرَ للنّاحيةِ الَّتي تليها[5]، والجانِبُ: شِقُّ الإنْسانِ وغَيْرِهِ، تَقولُ: قعَدْتُ إِلَى جَنْبِ فُلانٍ وإِلى جانِبِه، بِمَعْنًى، والجَمعُ: جُنوبٌ وجَوانِبُ وجَنائِبُ، الأَخيرة نادِرَةٌ، والجَنْبُ مِنْ كُلِّ شيءٍ: ناحيته[6]، ويأتي الجَنْبُ بمعنى القُرْبِ، ومنه قولهم: وفي جَنْبِ اللّه، أي: في قُرْبِهِ وجِوارِهِ[7]، والمقصودُ بالجانِبِ في الآية: الجَنْبُ، وهو الجِهَةُ مِنَ الجَسَدِ الَّتي فيها اليَدُ، وهُما جانِبانِ: يَمينٌ ويَسارٌ، والمُرادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦٓ﴾: صَدَّ عَنِ العِبادَةِ والشُّكْرِ[8].

4) ﴿مَسَّهُ﴾: أصلُ (مسَّ) يَدُلُّ على جَسِّ الشَّيءِ باليَدِ[9]، يُقالُ: مَسِسْتُ الشَّيءَ أَمَسُّه مَسًّا: لَمَسْتَه بيَدِكَ، وهو مجازٌ في إِصابةِ الشَّيءِ وحُلولِهِ، وأَكثَرُ ما يُطلَقُ في إِصابَةِ الشَّرِّ، قالَ تعالى: ﴿۞وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا﴾ [الزمر: 8]، ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ۝٥١﴾

(1) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (عرض).
(2) ابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (عرض).
(3) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (نأي).
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 192.
(5) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (جنب).
(6) الخليل، العين، وابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (جنب).
(7) الزّبيديّ، تاج العروس: (جنب).
(8) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 192.
(9) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (مسس).

[فصلت: 51]، ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾ [الأعراف: 73][1]، والمَسوسُ من المياه: ما نالته الأيدي[2]، وحاجةٌ ماسَّةٌ، أَي: مُهِمَّة[3]، وحقيقةُ المَسِّ في الآية مُسْتَعْمَلٌ في الإِصابَةِ على وجْهِ المجازِ.

5) ﴿ٱلشَّرُّ﴾: مادّة (شرر) أَصْلٌ واحِدٌ يَدُلُّ على الانْتِشارِ والتَّطايُرِ[4]، والشَّرُّ: السّوْءُ، والفِعْلُ لِلرَّجُلِ الشِّرّيرِ؛ لانْتِشارِهِ وكَثْرَتِه، ومَصْدَرُه: الشَّرارَةُ، والفِعْلُ: شَرَّ يَشُرُّ[5]، والشَّرُّ ضِدُّ الخَيْرِ، وجَمعُهُ شُرورٌ[6]، والشَّرُّ أيضًا: بَسْطُكَ الشَّيءَ في الشَّمسِ من الثّياب وغَيره[7]، والمُرادُ بالشَّرِّ في الآية: الأَذَى، مِثْلُ المَرَضِ والفَقْرِ.

6) ﴿يَـُٔوسًا﴾: أَصْلُ اليأسِ انْقِطاعُ الرَّجاءِ[8]، واليَأْسُ: القُنوطُ، يُقال: يَئِسَ فُلانٌ، وأَيِسَ يَيْأَسُ يَأْسًا وإياسًا؛ إذا قَنِطَ، وانْقَطَعَ رَجاؤُهُ، وضِدُّه: الرَّجاءُ والطَّمَعُ، ويأْتي بِمعنى قَطْعِ الأَمَلِ، تقول: يَئِسَ مِن النَّجاةِ؛ إذا انْقَطَعَ أَمَلُهُ منها، وانْتَفَى طَمَعُهُ فيها، ويُسْتَعْمَلُ أيضًا بِمعنى السِّنِّ التي يَنْقَطِع فيها الحَيْضُ عنِ المَرْأَةِ، فهي يائِسٌ، وآيِسٌ[9]، وحقيقةُ اليأْسِ في الآية: فِعْلٌ قَلْبِيٌّ هو اعْتِقادُ عدم حُصوله الميئوس مِنْهُ، وصيغَ لَهُ مِثالُ المُبالَغَةِ؛ لقوَّةِ يَأْسِه[10].

❁ المَعْنى الإِجْماليُّ:

يُصوِّر الحقُّ تعالى حالَ الإنسان عند اليُسر والعُسر، وعند الرَّخاء

كَثِيرٌ مِنَ النّاس يَكفرون بِنِعَمِ اللهِ، ويستقبلونَها بِالجُحودِ والنُّكرانِ

(1) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن عبّاد، المحيط في اللّغة، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (مسس)، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/ 316.
(2) الخليل، العين: (مسس).
(3) الجوهريّ، الصّحاح، وابن منظور، لسان العرب: (مسس).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (شرّ).
(5) ابن عبّاد، المحيط في اللّغة: (شرر).
(6) ابن سيده، المحكم، وابن منظور، لسان العرب: (شرر).
(7) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (شرر).
(8) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (يأس).
(9) ابن منظور، لسان العرب: (يئس).
(10) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 193: 25/ 10.

والشِّدَّة فيقول: وإذا أنعَمنا على الإنسانِ بنِعمةٍ، كرِزقٍ أو نَصرٍ، أو صِحَّةٍ أو فَرَجٍ؛ أعرض عمّا دعوناه إليه من طاعتنا، واستكبر عن الانقياد لأمرنا، وإذا أصاب الإنسانَ الضُّرُّ، كفَقرٍ أو مرضٍ أو بُؤسٍ؛ كان قانِطًا مِنَ الفَرَجِ بعدَ الشِّدَّةِ، يائِسًا مِن رَحمةِ رَبِّه سُبحانَه[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

موقعُ جملةِ: ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا﴾ ممّا قبلَها:

الإعـــراضُ عـن اللـه سببُ كلِّ حرمانٍ

جملةُ ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ﴾ استئنافٌ ابتدائيٌّ، لبيان سبب الحرمانِ الذي يحول بين الإنسان وبين انتفاعِه بالقرآن، فبدلًا من أن يكون سببًا في شفائه ورحمتِه، يزيغُ عنه، ويُعرض طغيانًا بنعمة الله عليه، فيكونُ سببًا في زيادة خُسرانه، فهذه الجملة مضمونُها مقصودٌ بذاته، استُفيد بيانُها بوقوعها عقبَ التي قبلَها[2].

بلاغةُ الشَّرطِ بظرفِ الزَّمان (إذا) دون (إنْ):

إنـــعـــامُ اللـه محقَّقٌ مضمونٌ لا يُعْدَمُهُ أحدٌ

افتتاحُ جملةِ الشَّرط بـ(إذا) في: ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ﴾ لتحقيق مضمونِ الجملة مِنَ الإنعام للّه، والإعراضِ مِنَ الإنسان، أي: أنعمنا عليه إنعامًا محقَّقًا ذاقَه وعرفَه، وصيغتِ الجملةُ على أسلوب الشَّرطيَّة، لاستخراج المقابلةِ بين الضِّدَّين (حال الإنعام وحال الإعراض) على طريقة الجزاءِ التي تفضحُ حالَ الإنسان، وتكشفُ انحطاطَه حين يُقابِل الفضلَ بالإنكار، ويواجِه الحسنةَ بالسَّيِّئة، فأسلوبُ الشَّرط أتمُّ في تعريَتِه حيث رتَّبَ إعراضَه على الإنعام عليه، قال ابنُ القيِّم" أتَى هنا بـ(إذا) المشعِرةِ بتحقيق الوقوعِ المستلزِمِ لليأسِ؛ فإنَّ اليأسَ إنَّما حصل عند تحقُّقِ مسِّ الشَّرِّ له، فكان الإتيانُ بـ(إذا) هاهنا أدَلَّ على المعنى المقصودِ مِن (إنْ)،

(1) ابن جرير، جامع البيان: 15/ 65، والقرطبيّ، والجامع لأحكام القرآن: 10/ 321، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 5/ 113، والمراغيّ، تفسير المراغيّ: 25/ 8.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 191.

بخلاف قَولِه: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾﴾ [فصلت: 51]، فإنَّه بقلَّةِ صَبرِه وضَعفِ احتمالِه متى توقَّع الشَّرَّ؛ أعرض، وأطالَ في الدُّعاءِ، فإذا تحقَّق وقوعُهُ؛ كان يؤوسًا"[1].

سِرُّ التَّعبيرِ بفعلَي الإنعام والإعراض ماضيًا:

لا ينفكُّ الإنسانُ عن إنعامِ الله أبدًا

جاء فعلا الإنعام والإعراض بصيغة الماضي؛ للدَّلالةِ على أنَّ إنعامَ اللهِ بالإنسان قديمٌ ودائمٌ، وأنَّ إعراضَ الإنسان في مقابلة النِّعمة قديمٌ ومستمرٌّ، فكأنَّه لا ينفكُّ عنِ الإعراض، ولا يرجعُ عنه[2].

وجهُ إسنادِ فعْلِ الإنعامِ إلى ضمير التَّعظيمِ:

النِّعمةُ أثرٌ من آثارِ قُدرةِ الله ورحمتِه

أُسند فعلُ الإنعام إلى ضمير التَّعظيم في قوله: ﴿أَنْعَمْنَا﴾ لتعظيم المُنعِم سبحانه في ذاته، وتعظيمِ فعله بالإنعام، فإنَّه لا يقدِرُ عليه إلّا هو، وتعظيمِ أثرِ الفعل، وهو النِّعمةُ ذاتُها؛ لأنَّها أثَرٌ من آثار قُدرتِه القاهرة وعظمتِه الباهرةِ.

نكتةُ تعْديةِ فعلِ الإنعام بـ ﴿عَلَى﴾:

الإنسانُ مطلوبٌ من رزقِ اللهِ وإنعامِه وإن لم يسألْه هو

﴿عَلَى﴾ في قوله: ﴿أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ للاستعلاءِ المجازيِّ، لتصوير أنَّه كان يعيشُ في ظِلِّ نعمةِ اللهِ، فهو كائنٌ تحتها، مستظِلٌّ بها، ويكأنَّها تطلبُه لتستوليَ عليه استيلاءَ مَرحمَةٍ وإكرام، فالتَّعديةُ بـ﴿عَلَى﴾ تدلُّ على إغراقِه بالإنعام.

دلالةُ تعريفِ الإنسان:

أكثرُ النّاسِ مُعْرِضون إلّا من عافاه الله

(أل) في ﴿ٱلْإِنسَٰنِ﴾ من قوله: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ للعهد؛ أي: الإنسانُ المعهودُ بالكفر والعصيان[3]، بقرينةِ جواب الشَّرط: ﴿أَعْرَضَ﴾؛ لأنَّه لا يُعرِضُ إلّا الفاسقون، ويصحُّ أن يكون التَّعريفُ

(1) ابن القيّم، بدائع الفوائد: 1/ 47 - 48.
(2) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاوي: 11/ 576.
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 3/ 480.

للجنس، وهو يفيد الاستغراقَ، وهو استغراقٌ عُرفيٌّ، أي: أكثرُ أفراد الإنسان؛ لأنَّ أكثرَ النّاس يومئذٍ كفّارٌ، وأكثرُ العرب مشركون[1].

نكتةُ إفرادِ الإنسان:

لكلّ إنسانٍ حظُّه في الإعراض

لم يقل في السّياق الكريم: (وإذا أنعمنا على النّاس)، وقال: ﴿أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ بالإفراد، لدلالة الإنسانِ على شيئين: الأوَّلُ: الكثرةُ المُرادةُ منَ الجمع، لدلالتِه على حقيقة الجنس في بعض أفراده ممَّن هو على هذه الصِّفة[2]، فالمرادُ بالجنس حقيقةُ الأفراد لا عددُهم؛ إذ ليس كلُّ النّاس على هذه الحال[3]، ولو جمعَ، وقال: (النّاس)؛ لأوهم عمومَ الأفراد لا عمومَ الماهية، الثّاني: دلالةُ الإفراد على إعظام النِّعمة لكلِّ فردٍ من أفراد الإنسان، وأمّا الجمعُ؛ فيقتضي إعظامَ الإنعام لمجموعِهم لا لجميعِهم، فلا يلزمُ منه مواجهةُ كلِّ فردٍ بالإنعام العظيم المفهوم من نون العظمة ﴿أَنْعَمْنَا﴾، فالإفرادُ أبلغُ في إجراء الموعظة بالتَّوبيخ والإنكار، ليأخذَ كلُّ إنسانٍ هذا الخطابَ على نفسِه، فيكونَ أنجعَ في انتباه كلِّ فردٍ على حِدَة.

دلالةُ العطفِ بالواو:

الأعمالُ براهينُ ما في القلوبِ

جملة ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ معطوفةٌ على قوله: ﴿أَعْرَضَ﴾[4]، فهي داخلةٌ في حيّز جواب الشَّرط، لتعديد صفاتِه الرَّديئة؛ إذا أصابه إنعامُ اللّه سبحانه، وفائدةُ العطف بالواو: الإشارةُ إلى تغايُر الحالَين: الإعراضِ والنَّأي، أي: أعرضَ وتباعد، فالإعراض حالٌ قلبيَّةٌ والنَّأيُ بالجانب حالٌ عمليَّةٌ.

بلاغةُ الإطنابِ في ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾:

الاستطرادُ في التَّعقيب بقوله: ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾، ولم يكتفِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 191.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 191.
(3) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 8/ 418.
(4) صافي، الجدول: 15/ 103.

بقوله: ﴿أَعۡرَضَ﴾؛ للدَّلالة على المغايرة بين الحالَين، وأفاده العطفُ بالواو، والاستطرادُ بجملة نأَي الجانب توضيحٌ للإعراض وتصويرٌ لكيفيَّته، فيكون أوفى بتأدية المُراد، فهو تأكيدٌ للإعراض أو كالتَّأكيد له[1]، ومثلُه يجوز عطفُه لمعنى المغايرة بين المؤكِّد والمؤكَّد، وفي هذا المقام نكتةٌ بديعةٌ: وهي أنَّ العطفَ لا ينافي التَّأكيدَ، وأنَّ كلَّ تأكيدٍ لا يقتضي الفصلَ وتركَ العطف، وإنَّما يقتضي ذلك إذا قُصِد التَّأكيد، فالتَّأكيدُ المقتضي لإخلاء العاطف هو المبنيُّ على الإرادة والقصدِ[2].

ليس كلُّ تأكيدٍ يقتضي الفصلَ وتركَ العطفِ إلّا بقصدٍ

معنى الباء:

الباء في قوله: ﴿بِجَانِبِهِۦ﴾ للمصاحبةِ، أي: بَعُد مصاحِبًا لجانبه، أي: مبْعِدًا جانِبَه[3].

الإشـاحـةُ بالجانِبِ إعراضٌ للبدنِ يدلُّ على إعراض القلبِ

إيثارُ التَّعبير بـ(نأي الجانب):

آثر التَّعبيرُ بنأي الجانب، ليدلَّ على معنى المباعدة التّامَّةِ بالوجه والجسم؛ لأنَّ الإعراضَ انصرافٌ بِعُرض الوجهِ عنِ الشَّيء، ونأيُ الجانب: تحوُّلٌ عنِ الشَّيء بسائر الجسد من أحد جانبَيْه اليمينِ واليسارِ[4].

الانـصـرافُ بـالـجـانـبِ هو أمـارةُ المبـاعَـدةِ النَّفسيَّة التّامَّةِ

بلاغةُ الكنايةِ والمجازِ المُرسل في ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾:

في تركيبِ: ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ كنايةٌ عنِ الإجفال والنُّفور منَ الشَّيء، والنَّأيُ هو البُعد، وقيَّده بالجانب؛ لأنَّه أوَّلُ ما يحصلُ به المباعدةُ والانفصالُ، فهو أوَّلُ أمارات الاستغناء وعدم الاكتراث، ولذا كان كنايةً عنِ الاستكبار والاستبداد، فعادةُ المتكبِّر أن ينصرف بجانبه عمّا يستوجبُ الإقبالَ عليه، ويصحُّ أن يكون التَّقييدُ بالجانب مجازًا مُرسلًا علاقتُه الجزئيَّةُ، حيث عبَّر بالجزء، وأراد الكلَّ، وهو

عـادةُ المتـكـبِّر الانـصـرافُ بـجـانـبـه عـمّـا ينبغي الإقبـالُ عليه

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 140، والقونويّ، حاشيته على تفسير البيضاوي: 11/ 576.
(2) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاوي: 9/ 7.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 192.
(4) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/ 690.

النَّفسُ، أي: نأى بنفسه وذاته عن ملاحظة النِّعمة، كما يقال: جئتك من جانب فلان، وتريد ذاتَه[1].

توجيهُ القراءاتِ في ﴿وَنَـَٔا﴾:

التَّوسُّعُ في المعنى عند اختلافِ القراءاتِ أولى من حمل القراءةِ على معنى واحدٍ

قرأ ابنُ ذكوان وأبو جعفر في هذا الموضع وفي موضع سورة فصِّلت: ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾[2]، بمعنى: نهَضَ، وفُسِّر (نهض) - هنا - بـ(أسرع) بدلالة حرف التعدية، والكلامُ على تقدير مضاف، أي: أسرع بصرفِ جانبه، وهو دليلٌ على مفهومه المقابلِ مِنَ التَّثاقلِ والاستبطاء عن شكرِ النِّعمة وأداءِ حقِّها[3].

نكتةُ حذفِ متعلِّقِ ﴿أَعۡرَضَ﴾ ﴿وَنَـَٔا﴾:

كلٌّ يُعرِضُ بحسبِ مَنزِعِه في الهوى والمِزاجِ

حذفَ متعلِّقَ ﴿أَعۡرَضَ﴾ و﴿وَنَـَٔا﴾ لدلالة المقام عليه، من قوله: ﴿أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾، أي: أعرض عنّا، وأجْفَل مِنّا، أي: من عبادتنا وأمرِنا ونهيِنا[4]، ولا يخفى ما في الحذف أيضًا مِنَ الإيجاز والدَّلالة على تنوُّعِ مجالِ الإعراض والنَّأي الصّادِرَين عنه وتعدُّدِهما، أي: أعرض ونأى بوجوه الإعراض والنَّأي كافَّةً، فيعسُر تعيينُها لتوزُّعها على أفراد المُعرضين بحسب مسلكِ كلِّ واحدٍ فيهم ومنزَعِه في كيفية الإعراض وكيفيَّة النَّأي.

دلالةُ العطفِ بالواو:

لا يَخلو العبدُ من مَسِّ البلاءِ

جملة ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ معطوفةٌ على الجملة الشَّرطيَّة قبلَها ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾؛ لاستتمام المقابلةِ بين حاله مع الله في الرَّخاء، وحالِه معه في الضَّرّاء، وللإشارة إلى أنَّ الإنسانَ يتردَّدُ دومًا بين هذين الواقِعَين.

---

(1) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاوي: 11/ 576، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 191، والآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 140.

(2) ابن الجزريّ، تحبير التّيسير في القراءات العشر، ص: 440.

(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 140.

(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 192.

بلاغةُ الاحتراسِ بالمقابلةِ:

دفـعُ الـتَّـوهُّـمِ سـبـيـلُ إقـامـةِ الحجَّةِ

واحترس بهذه المقابلة من أن يَتوهَّم السّامعُ مِنَ التَّقييد بقوله: ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا﴾ أنَّه إذا زالت عنه النِّعمةُ؛ صلح حالُه، فبيَّن أنَّ حاله ملازمٌ لنكران الجميل في السَّرّاء والضَّرّاء، فإذا زالتِ النِّعمةُ عنه؛ لم يُقلع عنِ الشِّرك والكفر، ويتبْ إلى اللّه، ولكنَّه ييأسُ منَ الخير، ويبقى حنِقًا ضيِّقَ الصَّدر، لا يعرف كيف يتدارك أمرَه[1].

إيثارُ لفظِ المسِّ دون غيره (الإصابة، اللّمس):

الابتلاءُ بالمكروه تـهـذيـبٌ لا تـعـذيـبٌ، فهو تجليةٌ وتحليةٌ

التَّعبير بالمَسِّ في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾، تكتَنِفُه ثلاثُ دلالاتٍ معنويَّةٍ:

الأولى: معنى اللُّطف، فالإصابةُ بالشَّرِّ مَشوبةٌ باللُّطف والمَرحمة، ولذا فهي ليستْ إصابةً محضةً به أو خالِصةً فيه.

الثّانية: معنى الظّاهر، فالإصابةُ بالشَّرِّ هي مَسٌّ ظاهريٌّ، كما تَمَسُّ اليَدُ الأجسامَ والأجرام، فليستْ إصابةً تَجوزُ إلى بواطنِ الأشياء بالتَّلَفِ والإهلاك.

الثّالثة: معنى التَّخفيف، فأضرارُ الشَّرِّ مُخَفَّفةٌ بالألطاف، ولو نالتِ العبدَ من غير تخفيفٍ؛ لأهلكتْه، ولو كانتْ كذلك؛ لم يكن مجالٌ لِكشْفِها، ولذلك استوجبَ الملامةَ على يأسِه وجزعه منَ الشَّرِّ، لكون مَسِّه به صالحًا للاستدراك والتَّعافي، ولا يكون كذلك إلّا بِخفَّتِه وعدم استحكامِه.

والذي أعانَ على هذه التَّوجيهات الثَّلاثة: أنَّ المَسَّ يُقال في تأثُّر الحاسَّةِ بالمؤثِّر، وتأثُّرُ الحاسَّةِ هو أوَّل بوادرِ التأثُّر وأسرعُه حصولًا فيها، فإنْ زال المؤثِّر؛ كان أسرعَه زوالًا عنها، فَلِسُرْعَةِ الحصول

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 193.

وسرعة الزَّوال؛ كان المسُّ خفيفًا لطيفًا ظاهرًا، وهذا لا يتعارضُ مع قوَّة انفعال الحاسَّةِ بالشَّيء الماسِّ ونفاذِه فيها[1].

بلاغةُ المجازِ المرسلِ في التَّعبيرِ عنِ الإصابة بالمسِّ:

العبدُ ضعيفٌ مع الابتلاءِ ولو كان إصابةً ضئيلةً

في التَّعبير عنِ الإصابة بالمسِّ في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾، مجازٌ مرسلٌ علاقتُه الملزوميَّةُ؛ إذ أطلق الملزومَ، وهو المسُّ، وأراد لازِمَه، وهو الإصابةُ، لتقرير هيئة الإصابة، وأنَّها ليستْ كأيِّ إصابة، بل هي إصابةُ المسِّ.

دلالةُ تعريفِ الشَّرِّ:

إنَّما يُصاب النّاسُ بنوعٍ في الشَّرِّ لا بأصلِ الشَّرِّ

التَّعريف في لفظ ﴿ٱلشَّرُّ﴾ من قوله: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ للعهد، أي: نوعٌ من أنواعه بحسبِ كلِّ مُصابٍ على حِدة[2].

إيثارُ لفظ الشَّرِّ دون غيره (السّوء)، (الضُّرّ):

القصدُ عمومُ الشرِّ لا خصوصُه

عبَّر بلفظ ﴿ٱلشَّرُّ﴾ دون غيره، في قوله: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ للدَّلالة على عموم حاله مع كلِّ أنواع الشَّرِّ التي يُصابُ بها ممّا يرغبُ عنه، سواءٌ كان يضرُّه حقيقةً أم لا، أو هو ممّا يَسوء حقيقةً أم لا، ولو عبَّر بالضُّرِّ أوِ السّوء؛ لكان تعيينًا لنوعٍ خاصٍّ في الشَّرِّ لا يلزمُ أن يكون قد مَسَّه.

بلاغةُ إسنادِ الخيرِ إلى الله دون الشَّرِّ:

الأصلُ الثّابتُ في أحوال الإنسان الإنعامُ، والابتلاءُ عارِضٌ

في إسناد الإنعام للّه سبحانه في قوله: ﴿أَنْعَمْنَا﴾، وإسنادِ المسِّ للشرِّ ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾، فلم يُسند لضمير الجلالة كالخير، لبَعثِ التَّفاؤل بالخير؛ لأنَّه منَ اللّه، وللدَّلالةِ على أنَّه الأصلُ في أحوال الإنسان، وهو الأكثرُ فيها، وأنَّ الشرَّ عارضٌ طارئ لا يستلزمُ التَّشاؤم واليأسَ، وفيه أنَّ اللّه يريد الخيرَ لذاته بالنّاس، فهذا أصلٌ

(1) السّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (مسس)، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (مس).
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 499.

في إرادته، والشَّرُّ ليس كذلك[1]، وفي تحاشي إسنادِ الشَّرِّ إليه تعالى بوصفِه مضرَّةً مقامُ تنزُّهٍ يناسبُ ذاته العليَّةَ.

وجهُ التَّعبيرِ بفعل الكينونةِ ماضيًا:

إقحامُ فِعلِ الكون في قوله: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا﴾؛ للدَّلالة على رسوخ الفعلِ، تعجيبًا من حاله في وقت مَسِّ الضُّرِّ إيّاه؛ لأنَّ حالة الضُّرِّ أدعى إلى التَّفكير في وسائل دفعِه، بخلاف حالةِ الإعراض في وقت النِّعمةِ، فإنَّها حالةٌ لا يُستغرب فيها الازدهاءُ والافتخارُ بما هو فيه منَ النِّعمة[2].

الإنسانُ لا ييأسُ عند الضُّرِّ، بل يصِلُ في اليأس لدرجةِ الإتقانِ والتَّحقيقِ

نكتةُ إيثارِ المصدرِ ﴿يَـُٔوسًا﴾ وتنكيرِه:

جاء قولُه: ﴿يَـُٔوسًا﴾ على بناء المبالغة (فَعول) الدّالِّ على كثرة الفعل أوِ الدَّوامِ عليه أوِ القوَّة في مزاولته[3]، وهو يدلُّ على ذات الشَّيء الذي يُفْعَل به الفعلُ، كالوقود اسمٌ للمادَّة أو للشَّيء الذي توقد به النّار، والوضوءُ اسمٌ للماء الذي يقع به فِعلُ الوُضوء، وكذلك (يَؤوس) يدلُّ على قوَّته في اليأس، كأنَّ له فيه عزْمًا، وعلى كثرةِ يأسِه أو دوامِه عليه، وكأنَّ ذاتَه أو نفْسَه وروحه صارت مادَّةً تُسْتَنْفَدُ في اليأس، وتَفنى فيه، كالوقود الذي يُستَهلكُ في الاتِّقاد، ويَفنى فيه[4].

لا يكتفي الإنسانُ بأن يكون يائِسًا بل يتسربلُ باليأس حتى يكونَ يؤوسًا

بلاغةُ الكنايةِ في جملة الفاصلةِ:

وصفُ الإنسان باليؤوس كنايةٌ عنِ استعجاله ونتيجةِ إعراضِه عن ربِّه في حال الرَّخاء؛ لأنَّه لو كان مُقبِلًا على الله عارِفًا به في حال النِّعمة، لدعاه ذلك إلى الإقبال عليه والتَّفاؤلِ به سبحانه في حال البلاءِ[5].

لا يكونُ المرءُ يؤوسًا حتّى يكونَ عَجولًا

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 141.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 193.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 193.
(4) فاضل السّامرائيّ، معاني الأبنية، ص: 100.
(5) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 14/ 8716.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

النَّأْيُ والإعراضُ والصُّدودُ والبُعدُ:

البُعدُ أعـمُّ مِنَ النَّأي والإعـراضِ والصُّدودِ

النَّأْيُ: هو الصَّرف والإبعادُ بقوَّة، فهو إبعادٌ يشتمِلُ على مُبالَغةٍ وشِدَّة، ولذا أسنده في الآية إلى الجانب، ولم يقل: (وبَعُد بجانبه، أو ابتعد بجانبِه)؛ ليدلَّ على أنَّه ابتعادٌ من نُفورٍ ومُجافاةٍ، فهو ليس كأيِّ ابتعادٍ[1].

والإعراضُ: هو الانصرافُ عنِ الشَّيء بِلا مُبالاةٍ وعدمُ اكتراثٍ بتوليةِ وجْهِه وإبداء عَرضِه، وهو مأخوذٌ منَ العَرض، وهو النّاحيةُ التي تُقابِل الطّولَ، ومنه العُرض بضمِّ العين، وهو النّاحية والجانبُ العريض في الشيء[2].

والصُّدودُ: مِنَ الصَّدِّ وهو المنعُ، والصَّدُّ: الحاجزُ المانع بين الشَّيئين، والصُّدودُ: الانصرافُ عَنِ الشَّيء مع حيلولةٍ وتمنُّعٍ، ففيه معنى الابتعاد بفجْوةٍ وغِلْظَة[3].

والبُعدُ: خلافُ القُرب، وهو جعلُ فُسْحةٍ ومسافةٍ بين الشَّيء والشَّيء، فلا يلتقيان، وليس لذلك حدٌّ محدودٌ، وإنَّما ذلك بحسب اعتبار المكان بغيره، فهو أعمُّ مِنَ النَّأي والإعراضِ والصُّدود؛ لأنَّه قد لا يكون عن قصد مُجافاةٍ أو تمنُّعٍ أو انصرافٍ[4].

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (نأى)، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (نأو، نأى).

(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (عرض).

(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (صد)، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (صدد).

(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (بعد).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والعشرون،
سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والعشرون، سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 29 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-26-5
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 29 : المجلد التاسع والعشرون، سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-26-5
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6484549 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»